الفصل الثالث

الفراغ ليس خالياً:

حقول غير منظورة توجه التصرف

في يوتا *Utah*، فإن السماء في كل مكان - زرقاء، مكشوفة، ملحة على الانتباه. إنها ترتفع فوق الجبال وتندفع نحو الوديان الطويلة، مظهرة بتباهي وضوحها الشفاف. في الليل تصبح أكثر ظهوراً. بعد رحلة طويلة بالطائرة من هارت فورد جلست إلى ما بعد منتصف الليل بكثير متعبة متثائبة لكن غير قادرة على التحرك. إن النجوم لا ترغب في أن تصرف عن ذهنها. بالنسبة لي فإن التحرك في هذا المكان - والعيش مع هذه النجوم والسماء - كانا تجربة في الفراغ أو الفضاء *space*. لقد شعرت أن نفسي تستشعر التفاؤل نحو هذا الاتساع، شعرت بأن حدودي انفتحت، وأن رؤيتي زادت، وأن صمامي الباطني قد تبدد. في هذا الفضاء العظيم جداً لا يوجد مكان لنذهب إليه إلاّ بعيداً.

الفراغ (أو الفضاء) المقوِّم الأساسي للكون؛ ويوجد مقدار أكبر منه بالمقارنة مع أي شيء آخر. حتى عند المستوى المجهري *microscopic* من الذرات، حيث سنتوقع أن تكون الأشياء متراصة وكثيفة، يوجد في المقام الأول فراغ. داخل الذرات فإن الجسيمات دون الذرية تفصل بمسافات واسعة، إلى حد أن الذرة هي فارغة بنسبة (99,99) بالمئة. كل شيء نلمسه بما في ذلك أجسامنا يتكون من

هذه الذرات الفارغة. في الواقع إننا فارغون على نحو متناسب بالدرجة نفسها كالفراغ بين المجرات (*Chopra* 1989، 96).

في كون نيوتن، فإن خلو الفراغ خلق إحساساً بانعزال لا يوصف. المادة وحدها تحركت على نحو رائع خلال الفراغ، منجزة رحلة منفردة ونادراً ما تلتقي بغيرها، متنقلة دائماً عبر ثغرات واسعة تمتد إلى اللانهاية. هذا الكون المتوحد، أثر، لوقت طويل في تعبيرنا عن ذاتنا من كل النواحي، من الفلاسفة الوجوديين الذين يقولون إنه لا يوجد معنى لحياتنا باستثناء ذاك الذي نصنعه لأنفسنا، إلى الأفراد البطوليين في التاريخ الأمريكي، الأبطال من غير رفيق (الغربيون والمشتركون معاً) الذين نجحوا على الرغم من كل الصعوبات الهائلة. لقد كان من الصعب إحداث التغيير في هذا العالم المتوحد الضخم. لقد تطلب توليد طاقة ذات شدة كافية لدفع نفسه خلال الفراغ، وتحمل لفترة طويلة بما يكفي للوصول إلى هدف آخر وليسبب استجابته. عالم نيوتن من السبب والنتيجة من القوة التي تؤثر إلى قوة تطلب إنفاقات كبيرة للطاقة الذاتية لجعل شخص ما آخر يتحرك ومناطق ضخمة من الفراغ لاجتيازها لجعل شيء ما ينفذ. إنه لا يبدو منعزلاً فحسب لقد كان مضنياً.

شيء ما غريب حدث للفراغ في العالم الكمومي. لم يعد لفترة أطول فراغاً مهجوراً. إن الفراغ في كل مكان يعدُّ الآن ممتلئاً بالمجالات وهي عوامل مؤثرة غير منظورة غير مادية والتي هي جوهر الكون الأساسي. إننا لا نستطيع رؤية هذه المجالات لكننا نقوم بمراقبة تأثيراتها. لقد أصبحت طريقة مفيدة لشرح التأثير عن بعد، وهو وصف لطريقة حدوث التغيير من دون ممارسة مباشرة لعامل أول ضروري لدفع آخر إلى المكان الملائم.

في الفكر العلمي طورت نظرية الحقل في عدة مجالات مختلفة قبل الفيزياء الكمومية كمحاولة لتفسير التأثير عن بعد (إن كلمة حقل *field* أُخذت من اسم أعطي لخلفية الدروع الإذاعية). أدخل نيوتن أول حقل وهو الجاذبية الأرضية. في نموذجه نشأت الجاذبية من مركز للقوة مثل الأرض وانتشرت للخارج من ذلك

المكان إلى الفراغ. إن الخطوط التخيلية للقوة ملأت الفراغ جاذبة الأشياء نحو الأرض. في نموذج نيوتن لجذب الجاذبية الأرضية فإن قوة منبثقة من مصدر أول تقوم بإحداث أثر في آخر.

طوّر أينشتاين رؤية مختلفة لحقل الجاذبية الأرضية. في نظرية النسبية تعمل الجاذبية على تشييد الفراغ *space*. إن مسوّغ أن الأشياء تجتذب إلى الأرض هو بسبب أن الزمان والمكان ينحنيان استجابة للمادة. تُفهم الجاذبية كوسط مفضلاً ذلك على قوة وهذا الوسط هو الهندسة غير المنظورة للفراغ *space*.

في حياتنا من يوم إلى يوم فإننا نقوم بتجربة مباشرة مع حقول أخرى بالإضافة إلى الجاذبية الأرضية. قم مباشرة بوضع برادة حديد قرب مغناطيس؛ فالأشكال المميزة التي تتشكل حول المغناطيس ناشئة عن حقل مغناطيسي غير منظور. نلاقي أيضاً تأثيرات الحقول في كل مرة نشعل النور أو نوصل أداة بالقابس الكهربائي. محطات التوليد الكهربائية الحديثة تدور بسرعة مغانط ضخمة محدثة حقولاً مغناطيسية والتي تولد آنذاك حقولاً كهربائية تصدر تيارات من الإلكترونات.

يتم تخيل الحقول بطرائق مختلفة كثيرة. إن حقل الجاذبية الأرضية يعد بنية منحنية في الزمان - المكان، والحقول الكهربائية المغناطيسية تحدث اضطرابات تظهر كإشعاعات كهربائية مغناطيسية، والحقول الكمومية ربما حقل مختلف لكل جسيم هي طاقة تظهر في شكل *form*، عندما يتداخل حقلان اثنان. لكن في كل هذه النظريات فإن الحقول هي قوى غير مرئية وعوامل مؤثرة غير منظورة في الفراغ *space* تصبح ظاهرة من خلال تأثيراتها (*Wilczek and Devine* 1988، 155-164؛ *Zukav* 1979، 199-200).

حدثت التقدمات المبكرة في نظرية الحقل بسبب أن علماء، منهم ميشيل فاراداي *Michael Faraday* وجيمس ماكسويل *James Maxwell*، قرروا أن يركزوا ليس على جسيمات معينة لكن على الفراغ. على نحو بديهي أدركوا أن الفراغ لم يكن خالياً لكن بدلاً من ذلك كان في تعبير لفيزيائي حديث «وفرة

من البنية الفعالة بقوة لكن غير المنظورة» (Wilczek and Devine 1988، 156). لقد صنع فاراداي وماكسويل تحولاً واعياً في الرؤية، مثلما نفعل عندما ننظر من الأشياء القريبة إلى البعيدة. وفي ذاك التحول قاموا بالخطوة الأولى نحو كون مشغول وناشط بصخب. لقد كان تحولاً مهماً في التركيز. أن ننظر إلى ما وراء البنى المنظورة المنفصلة الصغيرة إلى عالم غير منظور ممتلئ بأوساط من الارتباطات (شاهد صورة الشفق القطبي الشمالي الذي تولده الحقول الطاقية والكهربائية المغناطيسية في الغلاف الجوي في قسم الصور الملونة).

الفيزيائي فرانك ويلكزيك والمهندسة بيتسي ديفن التي تحولت إلى كاتبة أبدعا تصويراً رائعاً فيما يتعلق بالتفكير بشأن هذه القوى غير المنظورة التي تمارس تأثيراً مرئياً. إذا كنا نراقب السمك، غير منتبهين للوسط المائي الذي يسبح فيه، فمن المحتمل أننا سنبحث عن شروحات لحركاتها بلغة سمكة واحدة تؤثر على أخرى. إذا سبحت سمكة واحدة جانبا ولاحظنا أن سمكة ثانية تنحرف بمقدار ضئيل، فإننا قد نظن أن السمكة الأولى كانت تمارس قوة على الثانية. لكن إذا لاحظنا أن جميع الأسماك تنحرف في نموذج متناسق، فإننا ربما نبدأ بالاشتباه بأن وسطاً ما آخر كان يؤثر على حركاتها. إننا نستطيع إجراء اختبار فيما يتعلق بهذا الوسط، حتى لو كان لا يزال غير منظور بالنسبة لنا، بخلق اضطرابات فيه وملاحظة تفاعلات السمك. إن الفراغ *space* الموجود في كل مكان من باطن الذرات إلى الكون، هو كثير مثل هذا البحر ممتلئ بحقول تمارس التأثير ويحضر المادة للتشكل.

العالم الذي يصفه العلم الحديث مبرم بالأسئلة وجذاب من نواحٍ كثيرة. إن الحقول تنسجم معه على نحو صائب. يصفها المتخصص في علم الأحياء كـ: «غير ملموسة غير مسموعة عديمة الرائحة لا طعم لها» (1995، 1988). لا يمكن مقاربتها بوساطة حواسنا الخمس، ومع ذلك فإنها تعدّ في نظرية الكم حقيقية الدرجة نفسها مثل الجسيمات. يدعوها الكاتب غاري زوكاف «بجوهر الكون». إن الأشياء التي نراها أو نلاحظها في التجارب، المظاهر الفيزيائية للمادة

كجسيمات هي تأثير ثانوي للحقول. يمكن أن تأتي الجسيمات إلى الوجود بشكل مؤقت ووجيز عندما يتداخل حقلان. عند نقطة الالتقاء حيث تتفاعل طاقاتها، تظهر الجسيمات. الحقيقة أن الجسيمات تظهر وتختفي مثل فناني التبديل السريع هي نتيجة التفاعلات المتواصلة بين الحقول المختلفة. مع أننا عددنا الجسيمات كقوالب بناء أساسية للمادة، فإنها في الحقيقة سريعة الزوال، مجرد لحظات وجيزة من الالتقاء تسجل كمادة يمكن ملاحظتها. وهذا يقود إلى وضع محير. إن الواقع الفيزيائي (أو المادي *physical*) ليس فيزيائياً فقط. تعد الحقول حقيقية لكنها غير مادية.

هذه المفارقة تلفت نظرنا إلى منطقة جديدة مهمة، وتدفعنا أيضاً بعيداً عن تفكيرنا بـ«الشيء»، بعيداً عن كونه من أجزاء ترتبط معاً بشكل ضعيف. تستحثنا الحقول لنعد أن الكون يشبه بدقة أكثر البحر، ممتلئاً بالعوامل المؤثرة المتداخلة والقوى غير المنظورة التي تصل. هذه الصورة أعمق بكثير للكون، في عالم الحقل توجد احتمالات للتأثير في كل مكان، كلما اتحدت طاقتان: «إن تصور نيوتن لعالم مسكون بجسيمات كثيرة، كثيرة، كل منها ذي وجود مستقل، استبدل بتصور العالم كحقل تخترقه بعض الأوساط الفعالة. إننا نعيش بين حقول متداخلة كثيرة - كل منها يملأ الفراغ. قوانين الحركة، في لغة الحقل، هي قواعد للتدفق في البحر. وقوانين التحويل *transformation* في هذا التصوير تخبرنا ما التفاعلات التي تحدث بين مكونات البحر الكلي» (*Wilczek and Devine* 1988، 163).

في علم الأحياء، ابتكر شيلدراك *Sheldrake* مفهوماً مثيراً للجدل فيما يتعلق بالحقول. لقد افترض وجود حقول شكلية *morphic fields* تؤثر في سلوك النوع. هذا النوع من الحقول يمتلك طاقة قليلة جداً خاصة به، لكنه قادر على تكييف الطاقة التي تأتي من مصدر آخر. إن الحقول الشكلية تنشأ بوساطة المهارات التي تتراكم عندما يتعلم أعضاء من النوع نفسه شيئاً ما جديداً (*Sheldrake* 1995، 82). بعد أن يكون عدد ما (غير معين) من النوع قد تعلم السلوك، مثل ركوب

دراجة هوائية، فإن الآخرين في ذاك النوع نفسه سيكونون قادرين على تعلم تلك المهارة بسهولة أكثر بتجميع السلوك في الحقل الشكلي، وعندما تنضم إليه طاقة الفرد فإن الحقل يكيف سلوك ذاك الفرد وفق النموذج. لا يتوجب عليه فعلياً أن يتعلم المهارة إنه ينتزعها من الحقل. إنه يتعلمها من خلال «الرنين الشكلي». وهي عملية يصفها شيلدراك كأفراد يؤثر عليهم من قبل آخرين مثلهم. هذه الحقول، يقول بوم، تمد بـ «نوعية من الشكل يمكن تبنيها بوساطة طاقة المستلم» (في *Talbot* 1986، 68؛ انظر أيضاً *Sheldrake* 1988، 1995).

إن التخيلات التي تمد بها أي من نظريات الحقل هذه مثيرة إلى حد بعيد. بسبب أنها تشجعنا على التفكير في الفراغ على نحو مختلف. إننا سابقاً نحيا ونعمل مع هذا الوعي الجديد بالفراغ. من خلال الشبكات الإلكترونية فإننا نصل إلى المحجوب لنغذي أنفسنا بالمعلومات. إننا نعتمد على المعلومات لنتحرك خلال الإثيرات التي يمكن استردادها من (من-نعرف-أين). ومن وجهة نظر سيبرنية، إن غير المنظور هو أكثر من لاعب ناشط في حياتنا بالمقارنة مع أي وقت مضى من قبل.

إنه الوقت المناسب لنفكر إلى ما بعد السيبرنية نحو الآخر الذي ربما يتصرف في فراغ نظمنا. ربما يكون فراغنا المشاع *communal* ممتلئاً بـ«هذه العوامل المؤثرة المتداخلة والقوى الخفية التي تصل». كيف نستطيع أن نتبين حقول النظم؟ إذا فهمنا أكثر عنها فهل تستطيع مساعدتنا في صنع التصرفات التي نرغب فيها؟ يبدو من المهم أن نفكر على الأقل في أن شيئاً ما ربما يتصرف في الفراغات بيننا. الفراغ ليس خالياً. إن العوامل المؤثرة غير المرئية تؤثر في السلوك.

طوال عدة سنوات وفي الوقت الحاضر يستحث القادة على أن يأخذوا بعين الاعتبار تأثير القوى غير المادية في النظم - الثقافة، القيم، الرؤية والأخلاق. كل من هذه المفاهيم يصور خاصية لحياة النظام يمكن ملاحظتها في التصرف، وأيضاً لا يوجد في أي مكان مستقلاً عن تلك التصرفات. ذات مرة عندما كنت أعمل في خدمات الزبون لعدد من مؤسسات البيع بالتجزئة الضخمة، طلبت من

المستخدمين أن يزوروا عدة متاجر. بعد إمضاء وقت كافٍ في متاجر كثيرة، قمنا جميعاً بمقارنة الملاحظات. اتفقنا جميعاً أننا استطعنا أن «نشعر» بخدمة زبون جيدة عندما مشينا في أحد المتاجر. حاولنا أن نكون واضحين أكثر بالبحث عن التلميحات *cues* المرئية، وتنسيق البضائع، والتعابير الوجهية - ولكن أياً من هذه لم يكن كافياً لتفسير الإحساس القوي الذي لاقيناه عندما مشينا في ذاك المتجر بقدر ما عوملنا جيداً. شيء ما آخر كان يتصرف. لقد تمكنا من الإحساس به إننا تماماً لم نتمكن من وصف سبب إحساسنا به.

يبدو لي أن نظرية الحقل تمد بتفسير مقبول ظاهرياً لهذا ولأسرار النظم الأخرى. إن التفكير بشأن إمكانية حقول النظم هو ممارسة مشوقة في التفكير المجازي. إنه يمكن أن يساعدنا على التفكير ملياً في تجربتنا مع العوامل المؤثرة غير المنظورة ومع التصرفات التي ربما يكون من الصعب تغييرها من خلال مقاربات مباشرة أكثر. ما الذي يؤثر على تصرف المستخدَم أو يشجع المستخدَم على ممارسة أشياء مثل خدمة الزبون الممتازة؟ إن هذا هو حيث يمكن أن تقودنا نظرية الحقل إلى مجالات جديدة. لقد استطعنا السؤال عن الرسائل التي تملأ فراغ النظام، واعتبار هذه الرسائل كحقل نظام يؤثر في التصرف. لقد رغبنا في الاهتمام بإدراك ما يوجد في الحقل وهل الرسائل هناك هي ملائمة أم متعارضة. ربما نكتشف أنه بينما نقول أننا نريد خدمة زبون رائعة، فإنه توجد رسائل أخرى تمارس ضغوطات مضادة. ربما تكون إشارة للناس أنه يجب عليهم أن يصنعوا نصيبهم من هذه الجهة مهما يكن. أو أنه يجب عليهم أن يجعلوا رئيسهم يراقب بشكل كفؤ فوق كل الاعتبارات الأخرى.

إننا لا نستطيع أبداً رؤية الحقل، لكننا نستطيع بسهولة رؤية تأثيره بالنظر إلى التصرف. لنكتشف ما يوجد في الحقل علينا أن ننظر إلى ما يقوم به الناس. لقد التقطوا الرسائل وتبينوا ما يُقيَّم في الواقع، ثم كيّفوا سلوكهم وفقاً لذلك. عندما يمتلئ فراغ النظم برسائل مختلفة، وعندما تطفو التناقضات عبر أثيرات *ethers* فقط، فإن هذا التنافر الخفي يصبح مرئياً كتصرفات معكرة. بسبب

أنه لا يوجد انسجام، فإنه توجد خلافات أكثر وتنافس أكثر وطاقة أكثر تعمل. يقول الناس شيئاً واحداً ويقصدون آخر. لا أحد يثق بأي إنسان. يغير النظام الاتجاه كثيراً ولا يستطيع أن يجد طريقه.

في حين إنني غير محتاجة لأثبت الوجود الفعلي للحقول في متاجر البيع بالتجزئة تلك التي زرتها منذ سنوات فإنني واثقة من أنه في كل واحد حيث شعر الزبائن بالسرور كان يوجد قائد والذي - في القول والعمل - ملأ الفراغ برسائل واضحة متناغمة بشأن كيف يخدم الزبائن. كان الحقل قوياً في انسجامه وأثّر في السلوك فقط في اتجاه واحد. بسبب قوة هذا الحقل كانت النتيجة خدمة رائعة وثابتة للزبون.

العوامل المؤثرة غير المنظورة التي تكشف عنها نظرية الحقل تستطيع مساعدتنا في إدارة المظاهر غير المتبلورة *amorphous* لحياة النظام. مثلاً الرؤية - وضوح النظام بشأن الغرض والاتجاه - مرشح رائع لنظرية الحقل. بطريقة خطية عددنا في أحوال كثيرة جداً إلى أبعد حد (الرؤية) كرسم خطة للمستقبل، وبذلك نصنع غاية للنظام. لقد اعتقدنا أنه كلما كانت صورة الغاية أوضح، كانت القوة التي سيمارسها المستقبل على الحاضر أكبر، وبذلك نجذب إلى الحالة المتوق إليها. إنها صورة نيوتونية متطرفة جداً مماثلة كثيراً للرؤية القديمة لجاذبية الأرض. لكن ماذا إذا غيّرنا العلم ونظرنا إلى (الرؤية) كحقل؟

إذا كانت الرؤية حقلاً لنفكر بشأن ما يمكننا فعله بشكل مختلف كي نستخدم تأثيرها المشكِّل. نستطيع أن نبدأ بإدراك أنه في صنع رؤية، فإننا نخلق قوة وليس مكاناً، تأثيراً وليس غاية. إن مجاز الحقل هذا سيساعدنا في فهم أننا نحتاج إلى انسجام في الجو، والرسائل، والخيال تجاريها تصرفات مثالية. إننا أيضاً سنعرف أن الرؤية يجب أن تُختَرق عبر النظام الكامل كتأثير مفعم بالحيوية على تصرف كل المستخدمين. وسنشعر بشكل حقيقي إننا مهددون بأعمال متعارضة بسبب أننا سنفهم تأثيراتها المحطمة على ما نحلم بإنجازه. سنصبح نظاماً من الكمال حيث كلماتنا ستُدرَك وليس مجرد سَتُسمع.

منذ عدة سنوات مضت فإن استعارات من علبة كلام فارغ أُدخِلت إلى تفكيرنا بشأن النظم. لقد صنعت رؤية مثيرة لفراغ النظام كمزيج من الناس والحلول والخيارات والمشاكل التي تدور بلا هدف، وفي كل مرة من أحوال كثيرة جداً تتوافق وتخلق قراراً عند نقطة الاتصال تلك: «إن النظام هو مجموعة من الخيارات التي تبحث عن المشاكل، المسائل والأحاسيس التي تبحث عن أمكنة يمكن أن يعرب عن القرار فيها، الحلول التي تبحث عن مسائل يمكن أن تكون جواباً لها، وصانعي قرار يبحثون عن عمل» (*Cohen*، *March*، و *Olsen* 1974).

هذه رؤية متشائمة لكن حقيقية للحياة في نظام نيوتوني، أجزاء منفصلة تائهة هنا وهناك تتعارض أو تتفادى التعارض وتنحرف بعيداً في اتجاهات غير متوقعة - إنها فوضى في النظام تخففها لحظات تحدث أحياناً من التماسك العرضي. هذه الاستعارات لا تزال وصفاً مُغيظاً *harrowing* لكن مألوفاً للطاقات اللاعقلانية التي تمشي ببطء في رواقات نظم كثيرة أكثر مما ينبغي. إن مهمة خلق ترتيب في علبة نفاية *garbage can*، وفرض بنية ومعنى على لخبطة كريهة الرائحة *smelly mess*، هي مستحيلة عملياً.

لكن مع الإدراك الكمومي توجد إمكانيات جديدة فيما يتعلق بطريقة خلق الترتيب. إن سلوك النظام يتأثر بغير المنظور. إذا عنينا بالحقول التي نبدعها إذا ساعدناها على أن تبرز واضحة بوساطة التماسك، آنذاك نستطيع أن ننظف بعض النفايات في حياة النظم.

من نواحٍ كثيرة، فإننا نعرف مسبقاً أي منظم قوي يستطيع الحقل أن يكون. لقد تقدمنا بتعمق في فهم هؤلاء الحلفاء غير المنظورين بوساطة التركيز الحديث على هدف وقيم وثقافة النظام. إننا نرى أن هذه مهمة حتى عندما لا نعرف السبب تماماً. يدعو روبرت هاس العامل مع شركة ليفي شتراوس سابقاً هذه بـ«التحكمات المفاهيمية... إنها فكرة عمل يتحكم، ليس مديراً ما ذو سلطة» (في *Howard* 1990، 134). إذا فهمنا الأفكار كقوى حقيقية في النظام،

كحقول، فإنني أعتقد أننا نمتلك صورة أفضل من أجل إدراك لماذا تتحكم المفاهيم بالإضافة إلى أنها تعمل. لكن التغير في اللغة المجازية يغير طبيعة اهتمامنا.

في رؤية النظم من خلال الحقل، إننا نُعنى أولاً بالوضوح. يجب أن نقول ما نقصد وأن نبحث عن مستوى أعمق بكثير من الأمانة *integrity* في أقوالنا وأعمالنا من أيما وقت مضى سابقاً. ثم يجب علينا أن نستيقن أن كل واحد يمتلك الوصول إلى هذا الحقل، بحيث تكون المعلومات متاحة في كل مكان. إن التعبير عن الرؤية يتحرك بعيداً عن الأسوار وإلى الأروقة يبحث خارجاً عن كل مستخدم، وكل موضع منعزل في النظام. في الماضي ربما عددنا أنفسنا كمصممين ماهرين للنظم، نجمع الأجزاء، نرسم الصناديق ونصرف طاقة لنصنع باجتهاد كل الصلات الضرورية والحث والبنى. في الوقت الحاضر من الضروري أن نتصور أنفسنا كأبراج هادية من المعلومات تقف ضخمة في أمانة ما نقول، وترسل موجات نابضة للخارج من الرسائل الملائمة في كل مكان. نحتاج لأن نكون جميعنا منتشرين في ذلك المكان، نعلن ونوضح ونظهر ونصوغ ونملأ كل الفراغ بالرسائل التي نهتم بها. إذا نفذنا ذلك فإن حقلاً فعالاً سيتكشف - ومعه القدرة الرائعة على التنظيم في شكل متماسك وبارع.

لنتذكر أن الفراغ ليس خالياً أبداً. إذا كان ممتلئاً بالأصوات المتناغمة فإن أغنية قوية ومقنعة ستنشأ. إذا كان ممتلئاً بالتعارض فإن التنافر سيشتتنا ولا نريد أن نوجد هناك. عندما ندعي أنه لا يهم ما إذا كان يوجد تناسق عندما نعتقد أنه لا يتوجب علينا فإننا نخسر أكثر بكثير من الأمانة الشخصية. إننا نخسر مشاركة فراغ غني بالحقل يستطيع مساعدتنا على إحضار الترتيب إلى حياتنا.

يوجد تجاهل هنا. أولئك الذين يحاولون إقناعنا بأن نقود من القيم والرؤية مفضلين ذلك على الأشكال التقليدية للسلطة لا يبدو أنهم يمتلكون جوهراً *substance* كافٍ. تبدو نصيحتهم خالية من البنية وتحكمات الإدارة التي تكفل

الترتيب. إن القيم والرؤية والأخلاق هذه رقيقة أكثر مما ينبغي، أثيرية *ethereal* أكثر مما ينبغي لتلاءم كأدوات إدارة. كيف نستطيع صنع نوع الترتيب الذي نحتاجه إزاء الفوضى؟ لقد سوَّغ عالم نيوتن تلك المخاوف بسبب أنه كان عالم من دون تماسك داخلي. لقد كانت الأجزاء الإفرادية تدور بسرعة جامحة على مساواتها الإفرادية. لكن إذا نظرنا إلى ما وراء نيوتن، إذا غيّرنا حقل رؤيتنا فإننا سنرى عالماً من العمليات المنظِّمة الدقيقة أكثر.

ماذا لو جرينا خارجاً بهدوء مع انحناء الفراغ، خارجاً نحو مراكزه المهمة البعيدة؟ ماذا ولو مرة في ذلك المكان ضبطنا أعيننا نحو الخفي؟ هناك بدلاً من الخلوّ فإننا سنرى وفرة من الطاقات المنظِّمة. ذات مرة جعلنا آمنين بوساطة أشياء منظورة، بوساطة بنى نستطيع رؤيتها. الآن إنه الوقت المناسب لنعتنق غير المنظور. في عالم حيث المادة يمكن أن تكون غير مهمة، حيث العوامل المؤثرة تنتقل بيننا غير مرئية، لماذا لا نتفكر في تأثير الحقول؟ من أجل عمل إيمان ضئيل كهذا فإن الفراغ يترقب ممتلئاً بالإمكانيات.

بالنفاذ إلى أسرار كثيرة جداً فإننا سنتوقف عن الاعتقاد بالشيء الذي لا سبيل إلى معرفته. لكنه مع ذلك يجثم هناك بهدوء.

- هـ. ل. منكن *(H. L. Mencken)*